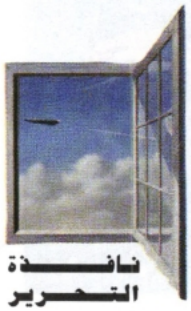

قيادتنا الرشيدة وهموم الأمة

العقيد. سعيد بن ناصر المرشان
رئيس التحرير

من تابع كلمة سموّ سيدي ولي العهد (يحفظه الله) في قمة مجلس التعاون الخليجي الأخيرة، واستمع إلى تصريحات سموّه وإجاباته على أسئلة الصحفيين والإعلاميين الذين استضافهم المهرجان الوطني للتراث والثقافة في دورته السابعة عشرة، الذي أقيم مؤخراً في الرياض؛ يوقن في غير جهد أو اجتهاد أن كلمة سمو ولي العهد وتصريحاته يحفظه الله هي تعبير صادق عن منهج أمة في الحياة، وسبيل دولة حكيمة في نظرتها للنفس والآخرين، وأسلوب تعامل واضح مع قضايا الوطن والمواطن، وتشخيص دقيق لتداعيات الأزمة التي يعيشها العالم بعامة ـ والأمة الإسلامية بخاصة ـ منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م وما ترتب عليها من نتائج.

ذلك أن المنهج القويم الصادر عن دين سماوي عظيم، يرعى الفكر والعقل ويجعلهما وسيلة للتدبُّر والتفكّر في كافة شؤون الحياة، هو أقوم المناهج وأيسر السبل أمام هذه الأمة المسلمة للخروج من أزماتها وتخطي مشكلاتها، وصولاً إلى علاج يُصلح ما فسد ويقوّم ما اعوج من أمور.

لقد كان هذا هو منهج الأمة منذ بداية الرسالة الإسلامية الخالدة في عهد المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين، وهو المنهج الذي التزمته الدولة السعودية منذ نشأتها الأولى حتى عهد المؤسس (يرحمه الله)، ومن تبعه من قادة هذه الأمة، حتى عهد خادم الحرمين الشريفين، الذي حافظ (رعاه الله) على هذا المنهج في ظل متغيرات عظيمة وتحوّلات عاصفة طالت العالم كله بآثارها السلبية الواضحة.

إن هذه الكلمة وتلك التصريحات دليل على وضوح ورسوخ السياسة المستمدة من الشريعة الإسلامية، فلم يتفوه سموّه (يحفظه الله) بكلمة إلاّ واتخذ من القرآن الكريم دليلاً ومن الحديث الشريف مرشداً على ما قاله، ولم يطرح قضية ذاتية أو مشكلة وقتية، وإنما جعل قضية الأمة العربية والإسلامية في قمة القضايا والمشكلات.

فعندما يقول سمو ولي العهد: **«فالمحن والكوارث في حقيقة أمرها فرص وتحديات تتطلب منا جميعاً محاسبة النفس، ومراجعة المواقف، وإصلاح الخلل لنخرج منها ـ بإذن الله ـ أقوى مما كنا عليه يوم دخلنا فيها، فالأزمة القاتلة هي الوقوف أمام الأزمات مكتوفي الأيدي، مسلوبي العزيمة، ملقين باللوم على الآخرين دون أن نتصدى لدورنا الكامل مع المسؤولية.**

إن تغيير الواقع الأليم لا يتسنى إلا بتغيير أنفسنا أولاً، انصياعاً وإيماناً لقول الحق جل جلاله: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتى يُغَيِّرُواْ مَا بَأَنْفُسِهِمْ)، ومن خلال هذه الرؤية الإلهية يكون محور حديثي معكم اليوم».

إن إشارة سموّ ولي العهد (يحفظه الله) إلى ذلك، واستدلاله بتلك الآية الكريمة، وانطلاقه من رؤية إلهية في تقويم واقع الأمة في غير تهوين أو تهويل، لم يأت من فراغ، وإنما هو ثمرة المنهج الذي تربّى عليه رجال هذه الدولة، وعاشوا به بين الأمم، فحفظ لهم المجد، وصان لهم المكانة والمنزلة.

وهو في الوقت نفسه يوجّه كلمته إلى العالم بأسره، ليوضح له أن الإسلام دين تسامح للبشريه بأسرها، وليس لأمة دون أخرى، يوصي بالتراحم والتآلف حتى مع من لا يدين به، سواء من خلال الجيرة ـ

أياً كانت، فردية أم على مستوى الدول ـ وهو دين يحرّم قتل النفس البريئة مهما كانت ديانتها إلا بحق، وفيه إشارة واضحة إلى أن الإسلام يقف في وجه الإرهاب أياً كان نوعه، فإذا كان من قتل نفس بريئة بدون حق كمن قتل الناس جميعاً، فهذا يؤكد أن الإسلام هو الذي حارب الإرهاب منذ الأزل.

ويستمر (يحفظه الله) ليوضح سياسة هذه البلاد المباركة من خلال التعامل مع الآخر وفقاً لأصول دستورها الخالد «القرآن والسنة»، فالتعامل بالحكمة والموعظة الحسنة هي ديدن هذه البلاد، وهو ما يتضح من قول سموه (يحفظه الله): **«لذلك علينا أن نتعامل مع الآخرين بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، لنعكس من خلال تصرفاتنا سلوك المسلم الحقيقي الذي قال عنه نبي الرحمة: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)».**

وعن الثوابت السياسية لهذه البلاد المباركة أشار سموّ سيدي (يحفظه الله) إلى ما يعانيه أشقاؤنا في دولة فلسطين الشقيقة، التي يتعرّض شعبها الأبيّ للتدمير والمذابح الدامية؛ ومعلوم أن القضية الفلسطينية قد حظيت بجل الاهتمام ـ منذ توحيد المملكة وحتى اليوم ـ فلا عجب أن يجعلها سموّه قضية القضايا العربية والإسلامية، وأن يعطيها ما تستحقه، ويبحث عن السبل التي تؤدي إلى حلها من خلال العمل الجاد على إيجاد وحدة عربية وإسلامية شاملة، وهو ما تلخّص في تساؤل سموّه (يحفظه الله): **«هل ما يدور الآن في فلسطين من قمع دموي، سيحدث لو أن إسرائيل وجدت أمامها أمة تتحرك عبر مؤسسات فاعلة وقوة مؤثرة؟».**

ويعود للتأكيد على محاسبة النفس أولاً، واستثمار الوقت في العمل الدؤوب من أجل الوحدة التي تجعل الآخر يحترمها، بل ويحسب لها ألف حساب. وطالب بأن تكون الصراحة هي طريق وحدتنا، وأن نبتعد عن الشك وسوء الظن في سبيل تلك الوحدة.

لقد وضع (يحفظه الله) استراتيجية إن اتبعتها الأمة العربية والإسلامية، وسعى إلى تحقيقها الجميع، فسيكون لأمتنا العربية والإسلامية شأن عظيم،حيث أكّد على تشخيص الداء أولاً، ليسهل علاجه، موضحاً أهم وسائل العلاج، حيث قال: **«والدواء الذي أعتقد أننا نجمع على فعاليته هو الوحدة التي تعيد الجار إلى حمى جاره والشقيق إلى حضن شقيقه».** وهو بذلك يؤكّد على أن تلك هي حقيقة المسلم التي يجب أن يحرص عليها حتى يتمكن من حل مشكلاته وتجاوز أزماته. وشدد سموّه على ضرورة الاستفادة من تجارب الآخرين الوحدوية الناجحة، ووضع أسسها من خلال قوله: **«إن الوحدة الحقيقية لا تنصب على الشكليات، ولكنها تقوم على مشاريع اقتصادية مشتركة تنتظم من أقصاها إلى أقصاها، وعلى مناهج دراسية واحدة تنتج جيلاً شاباً مؤهلاً للتعامل مع المتغيرات، وعلى قنوات عربية وإسلامية نستطيع عبرها معالجة مشاكلنا».**

وكم كان منطقياً عندما أكّد (يحفظه الله) أن الحياة لن تخلو من المشاكل على جميع المستويات، حيث قال: **«إن المشاكل أمر طبيعي حتى داخل الأسرة الواحدة، والتحدي الحقيقي لا يكمن في طلب المستحيل وتوقُّع اختفائها، ولكن يكمن في قدرتنا على إيجاد المؤسسات القادرة على التعامل مع الخلافات قبل أن تستفحل وعلى حلها قبل أن تنفجر».**

لقد أوضح (يحفظه الله) بأن العملية ليست آنية وإنما تتطلب عمل مستمر لحل أي مشكلة قبل استفحالها؛ كما أكّد على أن مجلس التعاون جزء لا يتجزأ من الأمة العربية والإسلامية، فنجاحه يُعدّ نجاحاً للأمة ويخدم أهدافها.

من جانب آخر مقت سموّه التمسُّك المبالغ فيه بمفهوم السيادة التقليدي، حيث جعلها من أسباب الضعف والوهن الذي تمر بهما الأمة، لكنه أكد أن ذلك لا يعني التفريط أو التنازل عن الاستقلال الذي يؤيده ويدعمه اتفاق عربي وإسلامي من أجل الوحدة، وأشار (يحفظه الله) إلى أن الاستراتيجية التي طرحتها المملكة من خلال كلمته قد تتطلب بعض الوقت حتى تكتمل، لكنه شدّد على أن الانتظار حتى اكتمالها قد يأخذ بعض الوقت مما يستدعي تحرّكاً عاجلاً لحل أي مشكلة تحتاج إلى حلٍ سريع حتى لا تقف عائقاً في المستقبل في طريق تنفيذ تلك الاستراتيجية.

كما أكّد (يحفظه الله) على الوحدة القائمة على الأسس المدروسة لمواجهة التحديات ـ أياً كان شكلها ـ حيث قال: **«ومن الناحية السياسية يشهد العالم تطورات خطيرة رأينا كيف بدأت ولا نعرف كيف ستنتهي، ومن الغنى عن الذكر أننا لن نستطيع التأثير في هذه التطورات ما لم نحللها بعقلية واحدة ونتخاطب معها بصوت واحد .. ومن الناحية الثقافية تتعرض أصالتنا الإسلامية العربية لكثير من الضغوط والتأثيرات وما لم يكن لنا منها موقف واحد فإن هويتنا المتميزة يمكن أن تتعرض لا سمح الله للتشويه».**

وكانت خاتمة الكلمة الضافية الصادقة، التي ألقاها سموّه على قادة مجلس التعاون هي التأكيد على التلاحم بين القيادات وشعوبها لتحقيق الأهداف العظيمة التي ترنو إليها الأمة، حيث قال: **«بتوكلنا على الله عز وجل، ثم بمؤازرة من شعوبنا العربية والإسلامية، يستطيع القادة أن يمضوا قدماً نحو مسيرة التوحيد والتقريب، إذا ما وضعوا نصب أعينهم مخافة الله، ثم مصالح أمتهم العربية والإسلامية، (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ).**

هكذا كانت كلمة سموّ سيدي ولي العهد بياناً لنهج المملكة العربية السعودية المنطلق من هدي الكتاب والسنة، والعمل على تحقيق مصلحة الأمة■